

## القيم والأخلاقيات المشتركة في المجتمعات الإسلامية والمسيحية في عصر العولمة

دوغلاس براون \*

سَاهم الانتشارُ السَّرِيعُ للعولمة في تحقيق مجموعةٍ من التطورات في عالمنا؛ بما في ذلك ظهور الأسواق الحرة، وسهولة الحصول على منتوجات متنوّعة، وفعالية الإنتاج، وبروز أنظمة متطورة لحفظ السجلات، وآليات التواصل العالمية المتطورة والسريعة، ومعرفةٍ شاملة بالأحداث العالمية. وهذه ليست إلا بعض هذه التطورات. وواكبتها في المقابل بعض النتائج الثانوية غير المتوقعة، نذكر منها: عدم وجود حدود وطنية ثابتة، والاستعمال المتزايد للإنترنت ووسائل الإعلام، الشيء الذي يحول دون استغلال الوقت بالنسبة للأسرة والمجتمع المحلي، والقبول المتزايد على صور العنف، والتوجه نحو الاستهلاكية الفردية. وفي هذا المقال، سأحاول تعريف العولمة، وسأشرح كيف أن هذه النتائج الثانوية غير المتوقعة هدّدت بتجاوز الزمان، وتفكيك الفضاء الارتباطي للمجتمع الإنساني، كما شكّلت تهديداً لتماسك الأنظمة الأسرية. وبعد ذلك سأحدث عن الإسلام والمسيحية فيما يخص مجموعة من القيم المشتركة بينهما، والتي سأقيم بفضلها هذه التحولات السريعة وسأقدم طريقة للحفاظ على الترابط والهوية المجتمعية.

### تعريف العولمة:

يُعتبر مصطلح العولمة مصطلحاً جديداً يُستعمل بطريقة مماثلة لمصطلح الرأسمالية العالمية لوصف شبكة تجارية عالمية، والتبادل العالمي للمصادر، والمنتوجات والخدمات. وقد تمّت صياغة المصطلح في أواخر منتصف القرن العشرين، ولكن أصبح له صيغٌ واسعة في التسعينيات. وربط بعض النظريين السياسيين استعمال المصطلح بانتهاء الاتحاد السوفياتي، وانتهاء الاشتراكية، وظهور الرأسمالية. وقد حاولت وصف هذا التوجه العالمي نحو الرأسمالية. ومصطلح (العولمة) يرتبط كثيراً بتأثير الحداثة والارتباط المتزايد لوسائل الإعلام والاتصال العالمية.

لا يعتبر الارتباط العالمي شيئاً جديداً. فالأسواق العالمية وتبادلها للمعلومات موجودة لملايين السنين. وهناك دليل (أركيولوجي) وتاريخي حول التبادل عبر القارات للمواشي والمنتوجات، وعن الشبكة العالمية التجارية التي امتدت من أقصى شرق آسيا عبر الشرق الأوسط، ووسط إفريقيا وحدود الشمال الغربي لأوروبا. وهذه الشبكات التجارية العالمية ترجع إلى 0006 قبل الميلاد.

كانت القبائل ما قبل التاريخية في الصحراء تستورد الحيوانات الأليفة من آسيا ما بين 0004 و 0006 قبل الميلاد. وكان المصريون يشترون الماعز والأغنام من الجنوب الغربي لآسيا سنة 0006 قبل الميلاد. والدليل (الأركيولوجي) يؤرّخ مساهمة عُمان في الأسواق العالمية على الأقل إلى سنة: 0003 بعد الميلاد. فالمنتجات العمانية وصلت أقصى أوروبا والصين. وهناك تخمينات تقول بأن الأشياء القديمة التي صنعها Olmec people، والتي تم جلبها إلى أمريكا الوسطى دليل على أنه كانت هناك تجارة مع إفريقيا. لهذا، فعالمنا ارتبط بشبكة عالمية تجارية لآلاف السنين.

لا يُعدُّ الارتباط العالمي عبر التجارة شيئاً مناقضاً مع القيم الدينية. فالرسول مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - كان هو نفسه تاجراً ناجحاً عبر الطريق التجارية القديمة، من الصحراء إلى سورية، وهي طريق تجارية تزوّد الأسواق التي توجد على الحدود القوميّة بالسلع. والمشاركة في إيجابيات العولمة شيء لا يتعارض بالضرورة مع قيم الديانات الإبراهيمية.

لا تعتبر العولمة بذلك ظاهرةً جديدةً، أو شيئاً جديداً قادم من الغرب كما يدّعي البعض. فالعولمة انتشرت بوتيرة سريعة وكثيفة خلال القرن الأخير، وخاصّة خلال العشرين سنة الأخيرة. ومن نتائج توسع التجارة العالمية التطور السريع للنظام التواصلي العالمي بربط العالم بفضل الهواتف النقالة، وشبكات الإنترنت، والإقبال المتواصل والمتسع على المعلومات بفضل وسائل الإعلام التي يمكن أن تربط البلايين من الناس في آن واحد. وهذا الارتباط السريع غير العالم بشكل سريع ومذهل. وأصبحت الحدود الاجتماعية، والوطنية، والمحليّة، واللغوية، والثقافية، والدينية، والإثنية، شيئاً يمكن معرفته من قبل الكل على خلاف ما كان عليه الحال سابقاً.

أقترح رأي: روبين بطمان درسكل، ولري ليون من جامعة بيلور - في موضوع تأثير العولمة على المجتمعات المحلية - إنّ هذه الأخيرة تمّت السيطرة عليها في الولايات المتحدة الأمريكية من قبل (مجتمع وسائل الإعلام). (مجتمع وسائل الإعلام هو مجتمع موحد، ومنسجم وخال من أي تقسيم أثني وطبقي، الشيء الذي يعتبر مهماً جداً بالنسبة للمجتمع، وخال أيضاً من أي تنوع جهوي ومحلي ثانوي. وبسبب وسائل الإعلام، والتربية الاجتماعية الموحدة، والحركية السكانية، وتنوع القيم والتصرفات في المجتمع تمّ التقلّص من حدة العولمة بطريقة نوعية. لهذا، فالحدود المجتمعية ليست لها أهمية علميّة بالغة في مجتمع وسائل الإعلام. فسكان نيويورك... ونيو ديل، وتكساس (الساكنة، 732) سيقتمون الكثير من الأشياء أكثر من التي يختلفون فيها. فهم يتفرجون في نفس البرامج والأفلام التلفزيونية، ويقرؤون نفس المجاليت والصحف، ويقرؤون نفس الكتب المدرسية، ويسافرون من مدينة إلى أخرى بكل حرية. وأمام مثل هذه الظروف، فالشيء المنطقي الذي ينال اهتمام البحث العالمي هو المجتمع الوطني، وليس المجتمع المحلي).

يعتبر التجانس الذي وقع في الولايات المتحدة الأمريكية بين المجتمعات المحلية؛ نتاج

ظاهرة أثرت على طريقة عمل المجتمعات المحليّة في كل بقعة من بقع العالم.

يعرف مُحمّد علي كاتب مقال: "التواصل الدولي والعولمة"، العولمة على أنها هي: "الطريقة التي تم بها توسيع علاقة القوة والتواصل عبر العالم، بما في ذلك ضغوطات الزمان والمكان، وإعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية".

ما زالت التأثيرات المرتبطة بهذا الارتباط ستتجلى فيما بعد. فما هي الأشكال التي سيأخذها التفاعل البشري حينذاك؟ وما هو مصير المجتمعات التي تركز على العلاقات المحليّة؟

## أهمية المجتمع المبني على أسسٍ محليّةٍ وتأثيرات وسائل الإعلام المتزايدة/المتكاثرة

يتقاسم المسيحيون والمسلمون قيمة الارتباط المجتمعي والتماسك العائلي؛ فالديانات الإبراهيمية تدعو إلى نسج علاقات اجتماعية مبنية على التعاون المتبادل، ويشتركون أيضاً في القيم الجوهرية أي قيمة المصالحة وحسن الضيافة، وهي القيم الجوهرية الضرورية للمحافظة على تماسك المجتمع. والمشاركة في تنمية المجتمع المحلي شيء ضروري للتطور الإنساني. وقد لاحظ دونكان تمز، وهو عالم اجتماعي، دَرَسَ تأثيرات الإنترنت على تشكيل الهوية والمجتمع المحلي؛ أن "الهوية الفردية تنتج غالباً عن التفاعل الإنساني وجهاً لوجه من خلال عكس صورة الذات والعلاقات مع الآخرين، ومن خلال التخيل الذاتي للتصورات المجتمعية والتقييمات. وليس هناك ما يمكن أن يعوض المشاركة في نظام أسري واسع والمجتمع المحلي الأولي لتشكيل الهوية. بالإضافة إلى تشكيل الهوية؛ فالأسر والمجتمعات تقوم بدور الإرشاد، وتصحح وتمنع في بعض الأحيان بعض سلوكيات الأفراد".

ما هي الأشياء التي ستتدخل في تشكيل الهوية الفردية وستقدم نوعاً من الإرشاد الاجتماعي؛ إن كانت مهمة المجتمع المحلي والأنظمة الأسرية أصبحت تتقلص بفعل ظهور (المجتمع الإعلامي)، (مجتمع وسائل الإعلام)؟ يرى بعض العلماء الاجتماعيين أن المجتمع تحول من مجتمع مقنن بالزمان والمكان، إلى مجتمع منفتح على الأنماط المجتمعية الأخرى. وكلما ازدادت حدة استعمال الفرد للإنترنت، كلما ازدادت نسبة المشاركة في شبكة المجتمعات/الجماعات المترابطة مباشرة عبر الإنترنت. ورغم ذلك؛ فالمجتمع المترابط مباشرة عبر الإنترنت لا يبدو أنه قادر على القيام بوظائف المجتمع الأم المبني على أسس محلية: وظيفة الإرشاد، والتصحيح، وفي نفس الوقت منع السلوكيات الاجتماعية. وكشفت الدراسات المهمة بالتواصل عبر الإنترنت على أنه ليس هناك مانع للتواصل بين الأجناس خلال المراحل الأولى للعلاقة عبر الإنترنت، ولا مانع كذلك للأجوبة المتعارضة من مختلف الأطراف، والآراء المتطرفة، كما يلاحظ غياب القيود الاجتماعية في التواصل عبر الإنترنت.

هناك دليل مقابل يقول: أنه وبدون أن يتم إضعاف المجتمع المحلي، فإن اللذين يستعملون

الإنترنت يمكن أن يستعملوها للارتباط بشبكة من المجموعات الاجتماعية المحلية. ويمكن القول بأن الإنترنت تركز بطريقة متزايدة على الاتصال المرئي، أي اللقاء وجها لوجه. وهذا التفاعل المتزايد رغم ذلك، لا يمكن أن يكون داخل مجتمع وحيد جدير بالدعم والتصديق، ولكن في عدة مجتمعات معزولة ومختارة من قبل الفرد نفسه. والعضوية داخل مجتمع ابتدائي محلي يتم تعويضها بالعضوية داخل مجتمعات متعددة ومنتشرة عبر الزمان والمكان. ويسمى عالم الاجتماع (ولمان) هذا: (بشبكة الفردانية). (فعوض الانتماء إلى نفس المجموعة التي ينتمي إليها الأفراد الذين يعيشون في نفس الوسط، كل فرد له أو لها (مجتمعاته الخاصة). ورغم إيجابية توسيع الفرد لشبكاتة الاجتماعية بهذه الطريقة، فإنه من الممكن أن يكون الناس باختيارهم العضوية في عدة مجتمعات، أن تكون الوظائف الضرورية لتشكيل شخصية الفرد وبناء المجتمع - عكس شخصية الفرد، وتقييم المجتمع المتخيل، وتأطير السلوك الفردي - متوفرة بأقلية. فعندما يسعى مجتمع لمنع تصرف اجتماعي غير مقبول، فإن الفرد سيكون حرا في الانسحاب من مجتمع، والانتماء إلى مجتمعات أخرى عوض ذلك.

درس عالم الاجتماع (ميشيل تربر) تأثير استعمال جهاز التلفزيون والإنترنت على الأسر والمجتمعات المحلية، ولاحظ أن (التأثير الجوهرى لجهاز التلفزيون على الثقافة، يتمثل في الإدمان على مشاهدة البرامج التلفزيونية، بغض النظر عن الجودة، وتصبح جزء من الروتين اليومي... وتجعل أفراد الأسرة لا يتواصلون مع بعضهم البعض بكثرة). فمشاهدة التلفاز واستعمال الإنترنت يتسربون إلى النمط المعيشي للأسرة ويساهمون في تفاقم أزمة التواصل بين أفرادها.

أدى تزايد نسبة مشاهدة التلفاز واستعمال الإنترنت في أمريكا إلى تراجع ملحوظ في المشاركة الأمريكية في المجتمع المحلي. وحسب تقرير نيلسن (حول) جهاز التلفزيون، في سنة 1998م، تصل عدد ساعات مشاهدة الأمريكيين للتلفاز إلى أربعة ساعات كل يوم، بزيادة تصل إلى نسبة 11% لكل عشرة سنوات منذ أن أصبحت التلفزة متوفرة بنسبة 100% تقريبا في بيوت الأمريكيين خلال الستينيات.

(اليوم يجتاز الأزواج والزوجات أربعة أضعاف من ذلك في مشاهدة التلفاز، وستة إلى سبعة أضعاف في المشاركة في الأنشطة الاجتماعية خارج البيت). ونسبة عدد الساعات التي يجتازها مستعملي الإنترنت عبر العالم تصل تقريبا إلى ساعتين في اليوم، بنسبة زيادة تصل إلى خمسة وأربعين دقيقة في اليوم منذ سنة 2000م. فالوقت الذي يتم تخصيصه لاستعمال وسائل الإعلام في البيت هو وقت أخذ من وقت الأسر والأنشطة الاجتماعية. وهذا الدليل يدعم خلاصة كون الاستعمال المتزايد لو وسائل الإعلام يؤدي إلى إضعاف المجتمعات المحلية والأنظمة الأسرية الممتدة.

أقول بأن هذه المشاكل الاجتماعية التي بدأت في الظهور والمرتبطة باستعمال وسائل الإعلام لا تختصر فقط على شمال أمريكا، ولكن يمكن أن نتواجد في أية بقعة من العالم

تشهد زيادة في استعمال جهاز التلفزيون والإنترنت. فالإقبال على الإنترنت تزايد بطريقة ملفتة للانتباه خلال العصور الماضية وأكثر زيادة وُجِدَتْ في الشرق الأوسط.

هناك بالطبع إيجابيات عديدة للارتباط المتزايد الذي يشهده عالمنا بفضل الإنترنت ووسائل الإعلام: المعرفة اللحظية لأحداث العالم، والإقبال المباشر واللحظي على المعلومات المتزايدة والمعرفة، وفعالية وسائل الإعلام، والارتباط بشبكة واسعة من الأصدقاء، والتنظيم الفعال في المساهمة المحلية والإقبال على المؤسسات الكبيرة. وهذه تطورات رائعة. لهذا، فالمسيحية والإسلام لهما انتداب لتحليل التوجهات الاجتماعية، والجواب عليها، والإدلاء بشاهدة تنبئية حول العالم وتقديم الإرشادات حول طريقة جلب توجهات أخرى إلى حياتنا بطريقة تتكيف مع ميزة الحكمة والنعمة التي تتميز بها أدياننا.

### الخوف الذي ساهمت فيه وسائل الإعلام وتأثيرها على المجتمع

تتمثل النتيجة الأخرى غير المتوقعة للارتباط المتزايد بين دول العالم واستعمال وسائل الإعلام في الوعي بالجريمة والخوف الذي يخلقه هذا الوعي. وهذا على حسب (جريمي لبسولتر)، و(ميشيل هلت)، من جامعة نبراسكا بأماها، في مقال لهم تحت عنوان: (العرق والتغطية التلفزيونية المحلية لإخبار الجريمة).

(أبانت مجموعة من الآراء العامة خلال التسعينات أن مجموعة من الأمريكيين قلقون من تكاثر الجريمة (كلوب، 2000)... وازدادت نسبة الجريمة بحوالي 60%، رغم كون الجريمة الوطنية تقلصت بنسبة 20% ما بين 1990-1998م (وستفلدت ووكر 1998)، ولكن تناقصت الجريمة الشنيعة بنسبة 10.4% منذ السنة الماضية (الصحيفة المهمة بالجريمة، 2000). وعلى امتداد أربعين سنة يرى الأمريكيون أن الجريمة تعتبر المشكل الأول أو الثاني الذي يواجه مجتمعهم المحلي).

**تعد الجريمة في انخفاض في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن العلم المتزايد بالجرائم التي تقع في العالم، الجرائم التي كان لا- يعرفها إلا القليل عشرون سنة قبل اليوم، يخلق انطباع كون الجريمة أكثر انتشارا على خلاف ما كانت عليه. وكنتيجة لذلك، ظهرت ثقافة الخوف في أمريكا، ويمكن أن أقول بأن هذا الخوف العام يمكن أن يتزايد في أي منطقة من العالم حيث الإقبال المتزايد على استعمال وسائل الإعلام.**

يرى (وسلي سكوكان)، وهو أستاذ العلوم السياسية بجامعة الشمال الغربي أن: (الخوف من الجريمة يمكن أن تكون له نتائج وخيمة على المدى البعيد بالنسبة للبلدان المتجاورة). فعندما يتجدر الخوف من الجريمة، فالأفراد ينسحبون غالبا من الحياة الجماعية. وقد لاحظ (مارك وار)، وهو أستاذ العلوم الاجتماعية بجامعة تكساس بأوستين، أن الاحتياط السائد الذي يلتجأ إليه الناس لحماية أنفسهم ضد الجريمة يسمى: (الاجتناب الفضائي)، أو تجنب الأماكن التي يعتقد أنها خطيرة. وهناك طريقة لخلق تعاون إيجابي بين الاستهلاك المتزايد لوسائل الإعلام والخوف المتزايد الذي يحول دون تطور المجتمع.

تقتسم كل من المسيحية والإسلام نظرة مشتركة عن الخوف: الإيمان بالسيادة الإلهية، وضرورة تصديق العناية الإلهية. فعبارة: (لا- تخافوا) وردت خمسة وستون مرة في الإنجيل المقدس. ورسالة الكتاب المقدس تشجع المؤمنين المسيحيين على الإيمان بالله ومقاومة كل ما يدعو إلى الخوف. وتقول الآية الأولى من الترنيمة السابعة والعشرين: (الله نوري وخلصي، وهو الذي يجب أن أخاف منه)، وفي الترنيمة الثالثة والعشرون، الآية الرابعة نجد: (رغم أنني أتمشى في حاضرة خيال الله، فإني لا أخاف أي شر لأنك معي؛ وسلطتك وهيبتك يطمئني). وفي الإنجيل حسب جون، الفصل الرابع عشر، الآية السابعة والعشرون، طمأن عيسى - سلام الله عليه - أتباعه بقوله: (السلام الذي تركته بينكم، سلامي الذي أعطيتكم، ولا- أعطيتكم كما تعطيكم الدنيا. فلا تتزعجوا ولا تخافوا). وهناك سورة جميلة في القرآن تتحدث عن ذلك، وهي السورة التاسعة، الآية الأربعون عندما هاجر الرسول مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم -، وأبو بكر من مكة إلى المدينة، وقال الرسول مُحَمَّد لصاحبه: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). وإحساس المسلمين والمسيحيين بالطمأنينة لتصديقهم الله ولد لديهم الشعور بالسلام والتخلص من الخوف، وهي العوامل الأساسية لبناء وتأسيس المجتمع الإنساني.

### الفردانية والاستهلاكية وتأثيرهما على المجتمع:

ترتبط العولمة غالباً بالسوق الرأسمالية الحرة، وبما يواكبها من أخلاق الاستهلاكية والميلول إلى تشجيع السلوك الفردي. وكلا- التوجهين، الفردي والاستهلاكي، يهددان التماسك الاجتماعي ويتعارضان مع الأخلاق المجتمعية المشتركة بين الإسلام والمسيحية. والمسيحيون والمسلمون لهم الفرصة في ظل ظهور هذا التوجه العالمي لتحقيق تماسك ثقافي وتشكيل نمط أخلاقي بديل، نمط يجمع بين إيجابيات العولمة ويواجه في الآن نفسه الفرديّة، والاستهلاكية بنمط أخلاقي منبثق من المجتمع المحلي والعالمي. وهوية الفرد المسيحي والفرد المسلم لا يجب تأسيسها على أساس متطلبات السوق. فلا وجود لأي شيء في الأنظمة الدينية الإسلامية والمسيحية يمنع استهلاك الفرد للسلع الضرورية له، ولكن ليس الاستهلاك هو ما يقنن هذه الأنظمة. ويمكن لرأسمالية السوق الحر أن تكون وسيلة لتبادل السلع والخدمات، ولكن بالنسبة للمسلمين والمسيحيين لا يجب أن تصل إلى درجة التقديس. ففي الثقافة العلمانية، حتى بعد الأزمة الاقتصادية، أصبح اقتصاد السوق الحر بمثابة إله.

تم القيام بالعديد من الجهود من أجل الجمع بين المسلمين والمسيحيين لكونهم يشتركون في ميزة كونهم من سلالة إبراهيم بغية تشكيل تراث ديني مشترك. والشيء الآخر المشترك بينهم، والذي يمكن ملامسته في حياة إبراهيم -سلام الله عليه- والذي يعد شيئاً ضرورياً في علم اللاهوت المسيحي والإسلامي؛ هو الإيمان بالله والطاعة له وحده. ويؤكد المسلمون والمسيحيون على أنه كانت لديهم هوية أولى مشتركة كأدبيين، فهم أبناء (خلق) إله واحد. والممارسة الروحية للمسلمين واليهود تقتضي الخضوع لإله واحد فقط،

خالق كل شيء يرى وكل ما لا يرى. فالله هو الجدير بالعبادة. ولا أحد من المخلوقات أو الأنظمة يستحق العبادة من غير الله لأن الإخلاص يكون لإله واحد، وهذا الإخلاص يجعل المرء يحس بالحرية، ويحس بأنه حر في انتقاد الأنظمة الموجودة في العالم، الأنظمة التي يمكن أن تصبح أشياء تعبد/مقدسة. والديانات الإبراهيمية تلتقي في عقيدة مشتركة تقدم الحقيقة على القوة.

في الحين الذي تعتبر فيه العولمة عموماً، وقيم الاستهلاكية الفردية كما تكشف عنها وسائل الإعلام بالخصوص تحولات كونية، فإن العولمة حقيقة ليست منتشرة كنتاج إنساني كما هو حال المنظمات السياسية الدولية، والوحدات التي تعتبر فيها الديانات الإبراهيمية مصدر الحقيقة، وذات تأثير في الأخلاق الثقافية المتعارضة معها. ويذكرنا (ميشيل تربر) بأن (العولمة ينظر إليها كقانون طبيعي وليس كنتاج إنساني مهم في الخدمة الاقتصادية والتماسك الثقافي. ووسائل الإعلام تعتبر عرضة لتمحيص أخلاقي شخصي أو جماعي. ويمكن للقيم الإسلامية والمسيحية المشتركة، التي تم الكشف عنها من خلال الارتباط بين الديانتين، أن تلعب دور التمحيص الأخلاقي ويكون لها الدور التصحيحي الذي تحدث عنه تربر.

لماذا يجب أن يتكلم الإنسان بلسان مشترك؟ ففي حوالي 1.5% مليار من المسلمين في العالم ومليارين من المسيحيين، يشكل المسلمون والمسيحيون أكثر من نصف سكان العالم. وإذا اتفقوا حول القيم المشتركة بينهما، فذلك يمكن أن يؤثر على الثقافة العالمية بشكل ملموس.

### السبيل إلى الأمام:

تعتبر المسيحية والإسلام، ربّما أكثر من أي تنظيم اجتماعي على الأرض، في موقع يخول لها تقديم طريقة تمكن من الاستفادة من تطورات الارتباط العالمي وفي نفس الوقت تمكن من الحفاظ على الأنظمة الأسرية الممتدة ومن ارتباط المجتمعات بالزمان والمكان المحليين. فالعولمة ونتائجها المتمثلة في الارتباط بين الثقافات ليست تصورات جديدة بالنسبة للإسلام والمسيحية، الديانتين اللتين أصبحتا عالميتين بمجرد ظهورهما. فهما لا يبنيان على هوية إثنية، أو ثقافية أو لغوية، ولكن يجسدان في جوهرهما مبدأ العضوية العالمية التي يتجاوز الهوية الوطنية. ويتعايش اليوم كل من المسيحيين والمسلمين غالباً في كل دولة في العالم. ورغم كون القرآن الكريم منزل باللغة العربية، لغة الرسول مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم -، فالإسلام لا يقتصر فقط على العرب، كما لا تقتصر المسيحية على متكلمي العبرية والإغريقية، لغات الإنجيل المقدس. ومنذ البداية جاء الرسول مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم -، بالإسلام كدين لكل المسلمين، لكل الأمة، أمة المؤمنين. وقد تحدث عيسى سلام الله عليه، عن مملكة الإله كأمة تضم كل العالمين (والناس سيأتون من الشرق ومن الغرب، ومن الشمال والجنوب، وسيجلسون على الطاولة في مملكة الإله).

بالإضافة إلى ميزة العالمية في العضوية والانتماء، فالمسيحية والإسلام يتم تطبيقهما في

وسط أسري متماسك وجماعة محلية للعبادة والصدقة. فالدين الإسلامي يمارس حسب انتماء الفرد الأسري وارتباطه بالمسجد. والدين المسيحي يمارس حسب انتماء الفرد الأسري ومشاركته في عادات وأنشطة الكنيسة. والمسيحية والإسلام أديان عالمية وفي نفس الوقت تظل مرتبطة بنوع من العولمة تجعل المجتمع المحلي، والروابط الأسرية وتوجيه العلاقات الإنسانية أهم انشغالاتها. ويمكن للمواطنين المسيحيين والمسلمين أن يضلوا مرتبطين بالعالم، ويشاركون في نمط اقتصادي عالمي معين وفي نشر المعلومة، ويظلون في الآن نفسه محتفظين بالتزاماتهم مع أسرهم ومجتمعهم المحلي.

يقتسم المسلمون والمسيحيون أكثر مما هو مكشوف بالنسبة لهم. فهم يقتسمون رغبة في استعمال وسائل الإعلام كوسيلة في ظل حدود محترمة. ويقتسمون الالتزام بحفظ الأنظمة الأسرية الممتدة والمجتمع المحلي. ويقتسمون رغبة في الإيمان بالله وحده، والتخلص من الخوف الناتج عن التهديدات التي يطرحها العالم. ويقتسمون قناعة بأن هويتهم الدينية تتمثل في كونهم خادمي الله، وليسوا مستهلكين تجب خدمتهم. ويقتسمون بعض الآراء والحالات، وهم عازمون على تكثيف الجهود المشتركة من خلال نسج علاقات التعاون.

هناك بديل يطرح بعض المشاكل أمام التعاون بين الأديان وأمام الوقوف في وجه العولمة. وقد لاحظت هذا بين بعض إخواني وأخواتي المسيحيين، ولاحظته حقيقة بين بعض الأقليات المسلمة. وهذا البديل مغر جداً. فهو توجه نحو الانعزالية، ونحو عصامية دينية تسعى إلى إعادة تأسيس الحدود بغية عزل أفراد المجتمع عن تأثيرات العولمة. وهو يسعى إلى رسم حدود لخلوص الممارسة اللاهوتية وبعد ذلك العمل مع أفراد المجتمع ولمصلحة أفراد المجتمع، ومنع تحول المؤمنين إلى أفراد مستهلكين، وعكس تحول المجتمع المحلي والخصوصية الثقافية، ومنع الإقبال على صور الدعارة، وكل الأشياء التي تهدد القيم الجوهرية. وهذه العصامية يمكن أن تؤدي إلى رفض غير مرغوب للأصدقاء المتدينين بنفس الدين والذين يقتسمون رغبة مواجهة النتائج السلبية للعولمة.

تتمثل الطريقة الأخرى للتقدم إلى الأمام في طريقة مفضلة وفعالة تحتم عولمة تهتم بالديانات الأخرى كأساس يمكن أن يحمل رؤية تنبؤية عن التأثيرات السلبية المرغوبة والغير المرغوبة للعولمة. والديانات الإبراهيمية يمكن أن تتعاون وتقدم بدائل تمكن من تصحيح بعض تجليات العولمة التي تهدد القيم المشتركة بينها.

جعلنا الله أمماً مختلفة ومتعددة وذلك بطريقة حكيمة، وأومن بأن الله أرادنا أن نتعاون كأصدقاء ومؤسسين لأنظمة إنسانية تعود بالنفع على الإنسان. وفي القرآن الكريم نقرأ في السورة التاسعة والأربعين، الآية الثالثة عشر (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)، ويقول المفسران للقرآن علي عبد الله يوسف وعبد الله آغا: إن عبارة (شعوباً وقبائل) تعني كل بني البشر على الأرض، المسلمين وغير المسلمين.

يعد حزب الوسط بمصر مثالا- لتنظيم إسلامي يسعى إلى إحياء القيم التقليدية على



العموم، وإحياء الجماعة الإسلامية أو الأمة على الخصوص، وهي جماعة تحولت من موقع الاقتصار إلى موقع العضوية الشاملة بعدما انشقت الجماعة عن جماعة الإخوان المسلمين، وقد تشكلت جماعة الوسط سنة 1996م. وتحدد الجماعة أهدافها في (فتح مجال عام بين المسلمين والمؤيدين العلمانيين للمجتمع المدني والديمقراطي، وخلق صيغ جديدة للحوار والتعاون). وتضم جماعة الوسط الجماعة المسيحية القبطية المصرية حسب فهمهم لمفهوم الأمة؛ ففي الحين الذي لم يتمكنوا فيه بعد من الحصول على موقع كجماعة شرعية، فقد حققوا نجاحا كبيرا في التعاون وليس في الانعزال، وبفضل صداقتهم مع المسيحيين القبطيين حول الأهداف المشتركة.

سيستمر العالم في الارتباط بطريقة متزايدة خلال العقود القادمة، والإقبال على المعلومة سيتزايد وستصبح المعلومة موجودة حتى في أبعد المناطق على وجه الأرض. وسيستمر المجتمع العالمي في التشكل وتجاوز الحدود الوطنية، واللغوية، والإثنية. والإنسانية ستبقى على وعي بالارتباط الاقتصادي، والسياسي، والبيئي، والاجتماعي بين الأمم. والله خفق بني البشر وجعلهم قادرين على ربط علاقات عبر الحدود، وكذلك خلقهم وهم يحملون بداخلهم حاجة ماسة للعيش مع أسرهم ومجتمعاتهم المحلية. لهذا، لا يجب تقديم رغبة معينة على حساب الأخرى. والديانات الإبراهيمية تنتشر بموقع تجعلها تتعاون فيما بيننا كإخوان وأخوات لتقديم منهج وطريقة تجعلنا مرتبطين بالعالم، وفي نفس الوقت متشبثين بالفضاء الأسري والمجتمعي.

تخيل عالم مستقبلي تستفيد فيه كل المناطق والثقافات بما في ذلك المجتمعات المدنية العلمانية من الآراء الحكيمة للمسلمين والمسيحيين، الذين يقدمون للعالم منهج/طريقة تجعل بني البشر يستفيدون من العولمة ودون تقديسها، طريقة تجعل بني البشر يقدمون تقييمات نقدية ويشاركون بحيوية في خلق نظام عالمي يسهل الارتباط بين الأمم ويقر على ضرورة الارتباط بالآخرين في مجتمع ابتدائي ينبني على تنشئة ودعم محليين.

**وفي الختام:** سأقدم مقطعا من الكتاب المقدس يؤكد الإحساس العظيم بالعيش مع الجماعة والصداقة بين الأديان: الترنيمة 133: "تذكروا كم هو جيد وجميل أن يعيش الإخوة في وحدة، وذلك يشبه كب زيت ثمين فوق الرأس، ثم يتقاطر على اللحية، على لحية هارون، ويتقاطر على طرف ثوبه".

\*\*\*\*\*

### الحواشي:

(\* كاتب وقسيس من أمريكا.

, Peter, Religions in Global Society. London: Routledge, Beyer -  
.p18, 2006

and Ronald schild. "Late Neolithic megalithic, Fred, Wendorf -  
." southwestern Egypt, (structures at Nabta Playa (Sahara

- جريدة علم الآثار الأنثروبولوجية.

Oman: Ancient, and Vincent Brierty, Mc Mohammad, Alubail -  
civilization: Modern Nation Towards a knowledge and service  
.Economy

- دوبرن، إيرلندا: صحيفة معهد دوبرن، ومسقط، عمان: مؤسسة بيت الزبير، 2004م،  
صفحة 15.

notable escultura, Antiguiedades mexicans' , Jose, Melgar -  
antigua'. Boletin de la sociedad Mexicana de Geografia y  
.292-297 .88 . 1869, epoca.2 vol 1, Estadistica

- ناصر السيد حسين،

, History and Civilization. New york: Harper one, Islam: Religion  
. p49, 2001

- علي المحمدي، (مؤلف):

, sage, International Communication and Globalisation. London  
.p3 , 1997

," local community and the Internet, Identity" , Duncan, Timms -  
Lifelong learning and the Management of place: An, social capital  
And, Kate Sankey, International perspective. Gds. Micheal Osborne  
.p63 , 2007, Bruce wison. London: Routledge

. Duncan, p65, Timms -

w. "The networked nature of, J. and Chen, B. Boase, Wellman -  
.community: Online and offline". It and society 1(1): 151-156

.Timms, p72 -

B. "physical place and Cyberplace: the rise of, Wellman -  
networked Individualism. "Community Informatics: shaping  
computer-mediated Social Relations. Eds. L. Keeble and B. D loader-  
.London: Routledge 2001, p17

Mass Media and Indian cultural, Globalization, Michael,Traber -  
.p131 , 2003, India: ISPCCK,values. Delhi

Bowling alone: The collapse and Revival of, Robert,Putnam -  
p . 2000,American Community. New York: Simon and Schuster  
.223-224

- مشروع الإنترنت العالمي: التقرير العالمي. بحث من إعداد مركز المستقبل الرقمي  
بمدرسة Annenberg للتواصل بمشاركة ثلاثة عشر دولة ومنطقة بشمال أمريكا،  
وجنوبها، وأوروبا،

وأسيا، والشرق الأوسط، والأوقيانوس. 2009م. صفحة 32.

- عرفت منطقة الشرق الأوسط زيادة في معدل استعمال الإنترنت تصل إلى 648.2، 1،  
% منذ سنة 2000 م. وعرفت إفريقيا زيادة في معدل استعمال الإنترنت تصل إلى 1،  
% 393.4 خلال العقد الأخير. وعرفت أسيا زيادة في معدل استعمال الإنترنت تصل إلى  
% 545، 9 وأوروبا زيادة تصل إلى % 297، 8، وشمال أمريكا زيادة تصل إلى % 134،  
وأريكا اللاتينية زيادة تصل إلى % 890، 8، والأوقيانوس وأستراليا زيادة تصل إلى  
% 175، 2 (الإحصائيات العالمية حول الإنترنت: الاستعمال وإحصائيات السكان)،

<http://www.Internetworldstats.com/stats.htm>

وهي معلومات على شبكة الإنترنت تم جمعها من طرف اتحاد وسائل الإتصال العالمية،  
ومن طرف GFK، والمنظمين المحليين. والبلدان المتضمنة في الدراسة التي تمت حول  
الشرق الأوسط هي: مصر، والعراق، والأردن، ولبنان، والمغرب، وفلسطين، والعربية  
السعودية، والسودان، وسورية، وإسرائيل، والكويت، والإمارات العربية، واليمن، وليبيا،  
والبحرين، وقطر، وعمان، والجزائر وتونس.

ساهمت الإنترنت في تحويل حركة غولن من محيط أتباع النورسي إلى حركة إسلامية  
نشيطة عالميا. فالحركة الغولينية كانت حركة إسلامية استلهمت روحها من تعليمات العالم  
الصوفي التركي فتح الله غولن الذي أقر بضرورة الحوار بين الأديان، وبحث في علاقة  
الإسلام بالعلمانية، وقضايا المساواة بين الجنسين، واقترح إطار عمل للتلاقح الإسلامي  
مع أقطاب التجارة العالمية.

and Robert Hunt. Muslim citizens of the, Yuksel,Aslandogan) -  
,globalized world: contributions of the Gulen movement somerest  
(. Inc. 2007, p26,Nj: The light

(ساعد التواصل السريع عبر العالم الزعماء المسلمين الكارزماتيين الذين يحملون أفكارا  
جديدة عن الإسلام على مراعاة هذه الأفكار والعمل بها بسرعة لم يكن لها مثيل)

Race and local television“ , and Lichael Hilt, Jeremy,Lipschultz - News Crime Coverage”. SIMILE: studies in Media and information , V3 and 4. Toronto. University of Toronto press,literacy Education .p2 ,( 2003,November)

Fear of Crime in the United States: Avenues for , Mark,Warr - researches and Policy. Criminal justice. V4 (2000) , p451-483. [http://law.jrank.org/pages/1187/Fear\\_Crime\\_Effects\\_Fear.html](http://law.jrank.org/pages/1187/Fear_Crime_Effects_Fear.html)” fear .of crime. Effects of fear

Fear of crime”. Encyclopedia of crime and justice.“ , Mark,Warr - .The Gale Group Inc. Encyclopedia.com. 2002

The Meaning of the Glorious, Mohammed Marmaduke,Pickhall - Koran: An explanatory Translation by Mohammed Marmaduke .Pickhall. New York: New American Library, p149

- أمير علي،

Globalization and Creed: A Muslim perspective: subverting " creed: Religious perspectives on the Global Economy. Edt. Paul Knitter and Chandra Muzaffer- Boston: Boston Research center for .p140 , 2002,the 21<sup>st</sup> century

-Traber, p191

- NRSV ، الإنجيل حسب لوك، الفصل الثالثة عشر، الترنيمية التاسعة والعشرين.

- علي عبد الله يوسف، معني القرآن الكريم. ماري لند: منشورات أمانة، 2001م.

- آغا أية الله، وآخرين، القرآن الكريم: نصا، وترجمة، وتفسير. نيو يورك: القرآن، Inc، 2004م.

Religion in Global Civil Society. Oxford:, Mark,Juesgenseyer - .p150 , 2005,oxford University press

-Juesgenseyer, p152

- NRSV ، الإنجيل المقدس. الترنيمية 133، الأيتين 1 و2.

